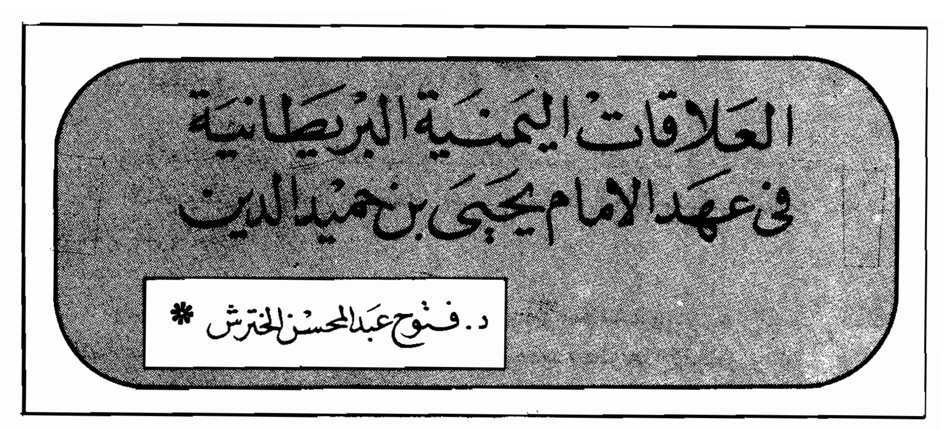


تولى الامام يحيى بن حميد الدين الحكم في شهر فبراير ١٩٠٤ ، ومنذ البداية راح يبذل كل جهد من اجل تدعيم مركزه بصفته احد الائمة الزيديين الذين يعتقدون ان لهم الحق المطلق في حكم اليمن ، بل والجنوب العربي كله .

وكانت السنوات السبع الاول من عهد الامام يحيى سنوات حرب متصلة ضد الاتراك العثمانيين انتهت بعقد صلح بينه وبين الوالي احمد عزت باشا في عام ١٩١١ . وقد حوت شروط الصلح عشرين مادة تنظم العلاقات بين الامام والسلطات العثمانية اعترفت الحكومة التركية بمقتضاها بالامام رئيسا للمذهب الزيدي ومنحته حق تعيين القضاة الزيديين بموافقة السلطان ، ومنذ ذلك التاريخ كان الامام يمارس نوعا من الاستقلال الذاتي المحلي في اطار النفوذ التركي ، واستمر على ولائه للدولة العثمانية .

وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى جعل الامام يحيى من أهدافه الخاصة ورغبته في الاستقلال الكامل القبلة التي يوجه نحوها كل تحركاته ، ومن ثم التزم موقف الحياد طيلة فترة الحرب تحسبا لما قد تتمخض عنه من نتائج ، وان كان غيره من الحكام العرب مثل الشريف حسين او ابن سعود أو الادريسي قد ثاروا على الاتراك أو أبرموا الاتفاقات مع الانجليز ، الا أن الامام يحيى نحى منحى اخر فلم يشن ثورة على الاتراك ـــ كما فعل هو نفسه في بداية حكمه ـــ

* – مدرسة التاريخ الحديث (الخليج العربي) بقسم التاريخ – جامعة الكويت .
– حصلت على الدكتوراة من جامعة الكويت عام ١٩٧٥ .

صدر لها :

– تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠–١٩٢١ . منشورات ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٧٤ .
– نشوء قطر وتطورها . منشورات ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٧٧ .
– مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨–١٩١٦ ، منشورات ذات السلاسل . الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٧٩ .

وانما التزم جانب الحيطة والحذر ولم يخرج عن هذا النهج الا عندما قضي الامر واعلنت الهدنة في ٣٠ اكتوبر عام ١٩١٨ .

وخرجت تركيا من الحرب وسلمت مناطق نفوذها للحلفاء ، فهنا فقط ، تحرك الامام يحيى ، ودخل صنعاء ليتسلم مقاليد الحكم وليعلن نفسه حاكما مستقلا على اليمن (١) .

ومنذ البداية كانت علاقات الامام بالانجليز علاقات يسودها العنف والعداء ، فعندما عارضت الحامية التركية في تسليم الحديدة دمرها الانجليز وقتلوا المئات من اهلها ، ثم احتلتها قواتهم .

وعندما كتب الامام الى المعتمد الانجليزي في عدن يحتج على هذا العدوان جاءه الرد بان الانجليز انما دخلوا الحديدة ليحافظوا على النظام فيها ، وانهم عازمون على تسليمها له بعد أن يستتب الامن .

وكان هذا الوعد البريطاني هو الحجة السياسية التي يستند إليها الامام يحيى لتدعيم حقه في حكم البلاد ، وأما حجته الشرعية فكانت تتمثل في انتزاعه الحكم من الاتراك . وقد راح يتطلع الى بسط نفوذه على بعض المناطق في تهامة عسير والتي تقطنها جماعات زيدية تتبعه في المذهب وتقبل بسيادته الزمنية ، كما امتدت مطامحه ايضا الى بسط نفوذه على كل مناطق اليمن سواء اكانت زيدية أم شافعية .

وبينما الانجليز يواصلون احتلالهم للحديدة اخذ الامام يحيى يشدد قبضته على المناطق التابعة له ، ويسعى في الوقت نفسه الى الاتصال بقبيلتي الزرانيق والقحري ، وهما من أهم القبائل الشافعية في تهامة ، وكان يهدف من وراء ذلك الى تأمين طريق تجارته الى البحر ، وضمان سلامة مرور أتباعه من الزيود عن طريق اقليم الحجيلة ، وقد نجح الامام يحيى في مسعاه مع هاتين القبيلتين وعين له مندوبا في باجل من شيوخ القحري (٢) .

وفي عام ١٩١٩ أمر الامام قواته بالتقدم الى النواحي التسع ((**المحميات التسع**)) والتي كان يعتبرها جزءا من اليمن ، وكانت الخطة التي شرع في تنفيذها تستهدف ضرب الانجليز من المناطق القريبة من الحديدة حتى يضطروا الى الخروج منها أو تسليمها ، وتقدمت جيوش الامام نحو محمية عدن ، واحتلت الضالع ، والشعيب ، والاجعود ، والقطيب ، الامر الذي ترك اسوأ الاثر في دوائر لندن فطلبت من معتمدها في عدن تغيير سياسته تجاه الامام (٣) .

ولا شك في أن الامام استند في خطوته العنيفة هذه الى السخط العام السائد ازاء مسلك الحكومة البريطانية بعد جلاء الاتراك عن تهامة وتسليمها ميناء اللحية الى حليفها الادريسي والاحتفاظ بميناء الحديدة الاكثر اهمية في ايدي قواتها في الوقت الذي يرى الامام يحيى فيه أنه هو وحده الخليفة الشرعي للامبراطورية العثمانية في جميع هذه الانحاء . وكانت هناك أسباب تاريخية أيضا يستند اليها الامام في مطلبه ، تقوم على أساس النفوذ الفعلي لاسلافه ، والذي امتد الى عدن نفسها بعد انتهاء الاحتلال التركي الاول لليمن في القرن السابع عشر (٤) ، بل وجاهر أيضا بأن اتفاقية عام ١٩٠٤ ليس لها اي سند قانوني ، وان ما يقوم به من عمل عسكري ليس في واقع الامر الا استردادا لجزء من ميراثه الشرعي .

ازاء هذه التطورات اراد الانجليز المساومة على اخلاء الحديدة مقابل الاتفاق على حدود المحميات ، ومن اجل ذلك ارسلوا وفدا برئاسة الكولونيل جاكوب يحمل رسالة من الحكومة البريطانية ، وقد عبر جاكوب عن الغرض من ارسال بعثته بقوله (وكان هدفنا هو دراسة مستقبل البلاد بعد فشل الاتراك في الحرب ، ولم يكن هناك ما يدعو الى الوصول الى اتفاق مع الامام ، بل نريد معرفة ارائه) (٥) .

رحب الامام يحيى بقدوم البعثة الى صنعاء ووعدها بأن يمدها بالحراسة اللازمة لها أثناء رحلتها ، بل وتمكن من الحصول من قبيلة القحري على عهد بتأمين سلامة البعثة أثناء مرورها بمنطقة نفوذها في الحجيلة (٦) .

ورغم ما نصح به المندوب الانجليزي في عدن بأن تتخذ البعثة طريق تعز خوفا من قبائل الزرانيق والقمري ، أصر جاكوب على اتخاذ طريق الحديدة حتى تتاح له الفرصة لسبر غور القبائل القاطنة في تهامة واستطلاع ارائها ازاء سياسة الامام وتلمس مدى رغبتها في الاستقلال الذاتي والانفصال عن الحكم الزيدي .

وصلت البعثة الى بابل واحسنت قبيلة الحقري استقبالها ووفادتها ، وانزلوا أعضاءها ضيوفا عليهم وكأن الامر ليس للانجليز أو للامام ، ولا هو كذلك للسيد الادريسي وانما الامر كله لشيوخ القحري (٧) . ونظرا لما تأصل في وجدان رجال هذه القبيلة من كراهية للانجليز خاصة بعدما ارتكبوه من فظائع في الحديدة نجدهم وقد نقضوا ما سبق أن تعهدوا به من تأمين للبعثة وقاموا بأسر رجالها واعتقالهم وقد علل جاكوب ذلك بأنهم كانوا يعتقدون « أنني ذاهب لاسلم البلاد للامام » (٨) .

وصلت انباء اسر البعثة الى الامام يحيى في صنعاء فكتب الى شيوخ القمري عدة رسائل يهددهم فيها بالابادة اذا لم يفكوا أسر رجالها ، ولكن شيوخ القمري

لم يبالوا بهذه التهديدات ، لذلك رأى الامام يحيى انه من الافضل ان يرسل الوالي التركي السابق ــ محمود نديم ــ الى باجل ليبذل جهده لفك أسر البعثة ، وامده بحرس من مئة جندي و ١٣ خيالا ومعهم ١٠٠٠ جنيه ولكن شيوخ القبيلة رفضوا المال واعتبروه رشوة ورفضوا اطلاق سراح البعثة خوفا من ان يتم الاتفاق بينها وبين الامام على ابادة القبيلة (٩) .

واما السلطات البريطانية في عدن فقد قامت بجهد كبير لتخليص البعثة من الاسر وانفقت الكثير من الاموال لكسب شيوخ القبائل المجاورة للحديدة للاعداد لغزو قبيلة القحري عن طريق جيرانها ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ، واخيرا قررت الحكومة البريطانية ارسال طائرة لارهاب القمري ، الا ان القبيلة لم تذعن ولم يلن عود شيوخها ، ولم يزعزعها ذهب الامام او ذهب الانجليز عن عزمها .

واستمرت البعثة الانجليزية في الاسر لمدة اربعة اشهر ، وعندما تأكدت الحكومة البريطانية من فشلها اصدرت أوامرها بعودتها ، ولكنها لم ترجع الا بعد فتنة نشبت بين « عقلاء » القمري ومشايخها ، ومن ثم توجه وفد من القبيلة الى الحديدة للمفاوضة مع القنصل الانجليزي ، وتم الاتفاق على اطلاق سراح البعثة في باجل واصطحبها رجال القحري الى الحديدة .

عند هذا التطور الحاد للاحداث نرى الامام وقد راح يحاول مصافاة بريطانيا فارسل القاضي عبدالله العرشي مندوبا عنه الى عدن ، ولكن الانجليز سلموا الحديدة الى الادريسي امير عسير الذي ساعدهم ابان الحرب العالمية الاولى ضد تركيا وظل حليفا لهم حتى نهاية الحرب ، مكافأة له من ناحية ، وتخلصا من المشكلات العديدة التي واجهتها بريطانيا بسبب الحديدة من ناحية اخرى .

ونظرا للاهمية القصوى لموقع الحديدة وبصفتها اهم الموانيء اليمنية على البحر الاحمر ، تطور الخلاف بين الامام يحيى وبريطانيا واصبح الوضع ينذر بنشوب القتال بين الطرفين ، ولكن المعارضة التي كانت تواجه الامام في محاولاته لبسط نفوذه على كل التركة العثمانية في اليمن ، جعلته يميل الى البحث عن تفاهم مع جيرانه الانجليز في عدن .

وفي ١٨ يونيو ١٩٢٣ اصدر الامام يحيى بيانا سياسيا دينيا يشرح فيه اراءه بالنسبة لاهداف الحكومة البريطانية في شبه الجزيرة العربية ، واشار فيه عرضا الى بريطانيا بالفاظ ودية واعرب عن توقعه لتلقي المساندة من بريطانيا (١٠) .

رحبت بريطانيا بتصريح الامام ، وارسلت بعثة اخرى برئاسة جاكوب نفسه

الى صنعاء في ديسمبر ١٩٢٣ تحمل الهدايا فوصلت سالمة عن طريق تعز ، ورحب الامام بها ، وفاتحه رئيسها طالبا عقد معاهدة صداقة تنظم العلاقات بين الطرفين ، كما طلب تعيين ممثل دبلوماسي بريطاني دائم في العاصمة اليمنية ، وطلب من الامام ايضا منح امتيازات تجارية مناسبة مقابل اعتراف بريطانيا بسيادة الامام على سلطنة لحج وحضرموت (١١) .

وقد رد الامام بأنه يفضل التعامل مع بريطانيا على اي حكومة أخرى وانه يريد أن يزيد من حجم التعامل التجاري معها ولكن بشرط استرداد ميناء الحديدة كأساس لبدء المفاوضات ، وهنا يأتي السؤال : كيف تدعي الحكومة الانجليزية صداقتها للامام وهي ما زالت تؤيد استيلاء الادريسي على الحديدة ، ولان الحديدة ثغر صنعاء الطبيعي ؟ . وفشلت محاولات جاكوب وعاد بدون أن يصل الى نتيجة تذكر ، وبناء على طلبه تم تعيين القاضي عبدالله العرشي ممثلا للامام في عدن ولكن بدون ان تكون له اي صفة رسمية لعدم وجود اتفاق سياسي لان الحكومة الانجليزية لم تكن قد اعترفت بحكومة اليمن (١٢) .

ظل عبدالله العرشي ممثلا للامام في عدن لمدة سنتين حاول خلالها التوصل الى اتفاق مع الحكومة الانجليزية ، ولكن وجود الادريسي في الحديدة حال دون ذلك .

وفي نفس الوقت كان الامام يحيى يتحين الفرصة لاسترداد الحديدة ، وقد جاءت الفرصة بالفعل عند وفاة محمد الادريسي امير عسير في ٢٠ مارس ١٩٢٣ وتولي ابنه الامير علي الحكم . وفي عهد الامير علي ــ وكان على قدر متواضع من الكفاءة والمقدرة السياسية ــ تدهورت احوال امارة عسير واصبحت نهبا للصراعات والخلافات الداخلية وتعرضت ايضا للغزو من جانب قوات الشريف حسين التي احتلت بعض المناطق في عسير . وفي ربيع ١٩٢٤ (١٣) ، اعلن مصطفى الادريسي عم الامير علي نفسه حاكما مستقلا في الحديدة ، ولكن الامير علي استعاد المنطقة الجنوبية بعد أن تمكن من طرده ، الا أن هذه القلاقل انتهت الى تضعضع جبهة الادارسة ، مما مكن الامام يحيى في نهاية الامر من الاستيلاء على الحديدة التي استسلمت له في مارس ١٩٢٥ .

ولعل أهم ما ساعد الامام يحيى على تحقيق اهدافه في عسير واسترداد الحديدة هو رفض الحكومة البريطانية مساعدة الادريسي في حربه مع الامام ، باعتبار هذه الحرب من المشكلات الداخلية ــ كما تعللت حينئذ ــ برغم قيام التحالف بين الادارسة والانجليز .

وكان من شأن هذا الموقف السلبي الذي اتخذته الحكومة البريطانية من الصدام الناشب بين الامام والادارسة ان تتغير نظرة الامام الى الاوضاع المحيطة به وان يتخلى عن مطالبه في عدن ، ومن ثم ينشغل عن مناطق النفوذ البريطانية فتبقى مصالح بريطانيا الحيوية والعسكرية والاستراتيجية والإقتصادية في مأمن ودون ان يتهددها اي خطر من جانب الامام يحيى (١٤) ، ولكن الصفقة لم يقدر لها أن تبرم على هذا النحو .

فما ان حل شهر يوليو من نفس السنة حتى كانت قوات الامام يحيى تواصل الزحف ووقعت مزيد من حوادث انتهاك الحدود في محمية عدن ،مما اضطرت لاجبار الحكومة البريطانية الى استخدام طائرتين لمحاولة احياء القوات اليمنية على الانسحاب من اعالي العضيلي السفلي .

وبعد عدة اشتباكات ، كانت اليد الطولى فيها للجانب البريطاني بفضل الطائرات اخذت الحكومة البريطانية بزمام المبادرة بين ايديها ، وفي عام ١٩٢٦ عندما عاد السير جلبرت كلايتون بعد مفاوضات ناجحة مع ابن سعود حول مشاكل الحدود العراقية والاردنية بعث الى صنعاء في يناير ١٩٢٦ ليبذل جهوده لاجراء محادثات مع الامام يحيى لعقد اتفاقية بين الطرفين . وقد فشلت هذه المحادثات عندما اثيرت مسألة جلاء الامام عن الاراضي التي احتلتها ، وعندما اشترط الامام ان يستعيد حريته البحرية كاملة الى جانب الاعتراف بسيادته على عدن .

ورغم كل هذه التطورات الحادة في العلاقات اليمنية البريطانية يتبدى للباحث أن الامام يحيى كان يتطلع بكل جوارحه الى ترسيخ اسس الصداقة مع بريطانيا ، وكان على استعداد لبذل التضحيات من أجل ذلك ، لولا من يحيط به من مستشارين يستبد بهم الجهل والتعصب .

ورفض كلايتون شروط الامام ، وفشلت المفاوضات ، فقفل راجعا الى بريطانيا دون نتيجة تذكر (١٥) . الا انه اكد روابط الصداقة ليس فقط مع الامام ولكن مع مستشاريه أيضا .

وقد اوقع الموقف المتشدد الذي اتخذه الامام مع الحكومة البريطانيا أفدح الاضرار بالنفوذ السياسي البريطاني في المنطقة ، بل وفي عدن نفسها ، كما امتدت اضراره الى التجارة البريطانية في داخل البلاد عن طريق عدن لان طرق التجارة عبر بلدة العميري سدت في تلك الفترة ، ومع أن طرقا أخرى ظلت مفتوحة الى حد ما ، والى حين ، الا أن ثمة رسوما جمركية اضافية كان الامام يحيى يحصلها فضلا عن تلك الرسوم التي كان الحكام المحليون يحصلونها بداب وانتظام (١٦) .

وقد أدى ذلك الى كساد التجارة وتحولها من عدن الى الحديدة .

استمر هذا الوضع قرابة تسع سنوات ـ من شتاء ١٩١٩ـ١٩٢٠ حتى خريف ١٩٢٨ ـ وابان هذه الفترة وعندما كان التجار البريطانيون في وضع بالغ السوء تحول جزء من التجارة البريطانية مع اليمن الى ايدي التجار الايطاليين والامريكيين، وقد ساعد استيلاء الامام يحيى على الحديدة في عام ١٩٢٥ على تزايد حدة هذا التحول في التعامل التجاري خاصة بعد فتح طريق جديد للتجارة يقع بأكمله داخل مناطق نفوذ الامام يحيى من ساحل البحر الاحمر حتى أقصى مرتفعات اليمن .

وهنا يبرز على المسرح منافس شرس ، وخطير ، انه الفاشية ، الواقعة على الساحل الافريقي للبحر الاحمر تتيح للايطاليين ميزة القرب من اليمن ، مما شجع الامام يحيى على الاتصال بهم ، لعل في ذلك ما يدعم مراكزه عند المساومة مع الانجليز متمسكا بمطالبه (١٧) .

وليس من شك في ان ظهور ايطاليا في شرقي البحر الاحمر وجنوب غربي شبه الجزيرة العربية كقوة كبرى لها مطامعها الخاصة كان من المحتم ان يؤدي الى تغيير موازين القوى في المنطقة وذلك منذ ان شق موسوليني طريقه لتثبيت الموقف الخارجي لبلاده وخاصة بعد أن تشبثت ايطاليا باريتريا ، ومن ثم مدت نظرها الى الجانب الاخر من البحر الاحمر على امل كسب ضمانات لمستعمراتها في شرق افريقيا ، وبغية تحقيق مكاسب اقتصادية (١٨) .

وهكذا نرى موسوليني ، بعد ان ثبت مركز بلاده في شرقي البحر المتوسط عن طريق احتلال ليبيا ، وقد راح يسعى في مجال المنافسة الاستعمارية مع بريطانيا الى تطويق عدن لتكوين امبراطورية ايطالية في الجنوب العربي ـ المواجه لاريتريا ـ بصفة خاصة باقامة علاقات طيبة على حد زعمه مع البلاد العربية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الاحمر بصفة عامة ، ومن اجل تحقيق مصالح السياسة الخارجية لايطاليا أصبح للصداقة مع اليمن اهمية قصوى استراتيجيا واقتصاديا .

من اجل ذلك سعت ايطاليا الى عقد اتفاقية تجارية مع الامام يحيى في ٢ سبتمبر ١٩٢٦ ولمدة عشر سنوات ، وكانت هذه أول معاهدة مع دولة أوروبية تم فيها الاعتراف بالامام يحيى ملكا مستقلا على اليمن .

وكان رد الفعل البريطاني لهذه الاتفاقية ينم عن الانزعاج العميق فقد كان من الطبيعي أن تتخوف بريطانيا من هذا الزحف الايطالي الى اليمن واعتبرته

مساسا مباشرا بمصالحها في المنطقة ، فضلا عما يشكله من تهديد مباشر لخطوط مواصلاتها الهامة مع الهند والشرق .

وفي شهر يونيو ١٩٢٧ ، اي بعد اقل من سنة على عقد هذه الاتفاقية تواترت الانباء عن عقد اتفاقية سرية بين ايطاليا واليمن (١٩) ، وكانت تدور بالدرجة الاولى حول تزويد الامام بالاسلحة الايطالية ، وما ان تسربت أنباء هذه المعاهدة السرية حتى قامت ضجة عالمية تدين مسلك ايطاليا وتشجبه لا بسبب شحنات السلاح الايطالي الى اليمن وانما أساسا لاسباب تجارية بحتة نابعة من التنافس الاستعماري التقليدي بين الدول الكبرى على الاسواق الخارجية ومناطق النفوذ (٢٠) .

وأملت الاعتبارات السياسية على بريطانيا الا تبدي انزعاجها ازاء هذا الكشف المذهل عن وجود معاهدة سرية بين ايطاليا والامام ، وارتأت أن تقوم بحركة تنقذ ماء وجهها فأذاعت بيانا تعلن فيه عدم اهتمامها بأمر هذه المعاهدة . وفي شهر اغسطس ١٩٢٧ أعلن في مجلس العموم البريطاني ان الحكومة البريطانية ليست مستاءة من « الوضع الاولى بالرعاية » الذي حصلت عليه ايطاليا في اليمن على الصعيد التجاري ، وان المصالح البريطانية لن تضار اطلاقا نتيجة للاتفاقية الايطالية اليمنية ، كما أعلن أيضا أن هذه المعاهدة لن تعرقل أي مفاوضات مع الامام .

ورغم كل هذه التأكيدات ، راحت الصحف البريطانية تعبر عن ذعرها الشديد كما ذكرت انه ليس هناك شك في أن الامام قد أجبر على التسليم بهذا الاحتكار الايطالي التجاري في بلاده (٢١) .

وفي هذه الاثناء كانت العلاقات اليمنية البريطانية تتردى وتزداد سوءا وذلك بسبب استئناف قوات الامام اعتداءاتها على عدن في شهر سبتمبر ١٩٢٧ ولكنها انسحبت عندما حذر الجانب البريطاني الامام وهدده باستخدام الطائرات لردع الاعتداءات .

ونظرا لتدهور العلاقات بين الطرفين فقد عقد مؤتمر شاركت فيه الادارات المعنية بالعلاقات مع اليمن بتاريخ ٥ اغسطس حضره السير جلبرت كلايتون والميجور ستيوارت والمقيم البريطاني في عدن ، وكانت النتائج التي انتهى اليها المجتمعون على النحو الاتي :

١ ــ انه من الحماقة محاولة استئناف المباحثات مع الامام على اســـاس اعترافه بحدود المحمية عام ١٩٠٥ .

٢ ــ ان اخراجه من حدود المحمية يحتاج الى حملة عسكرية على نطـــاق كبـير .

٣ ــ ان فرض الحصار البحري يمكن ان يثير متاعب كثيرة ولن يكون ناجحا.

وفي نفس الوقت استقر الرأي على ضرورة مراعاة الالتزامات البريطانية تجاه المحمية ومن ثم اتخاذ الخطوات اللازمة لتقوية موقف المقيم البريطاني في عدن ضد اي انتهاكات قد يقوم بها الامام ، ولهذا الغرض تقرر تدعيم السلاح الجوي في عدن (٢٢) .

ورغم هذه الاجراءات البريطانية المتشددة ، الا ان الامام لم يأمر قواته بالانسحاب بل واعتدت على مواطن آل قطيب في ٨ فبراير واختطفت الشيخ مقبل عبدالله عن شيخ آل قطيب ، والشيخ آل علي ، وكانت هناك اتفاقية حماية بين بريطانيا وشيخ القطيب ، ولهذا السبب انذرت بريطانيا شيخ قطيبة بأن يحمي النساء والاطفال في ظرف اربع وعشرين ساعة وبدأت الطائرات البريطانية في القصف بعد انتهاء مدة الانذار ، واستمر القصف ثلاثة أيام بحجة أن **قعطبة** أرض يمنية وانها قاعدة للقوات اليمنية وانها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن الاعتداء .

ولبى الجانب البريطاني مطلب فتح باب المفاوضات وبدأت الهدنة بالفعل ابتداء من ٢٥ مارس ووصل وكيل المندوب السامي الانجليزي في عدن الى تعز لبدء المفاوضات ولكنه فوجيء بأن ممثل الامام لم يخول الا اجراء محادثات غير رسمية ، ونتيجة لذلك تم اخطار الامام بأن الحكومة البريطانية مستعدة لعقد معاهدة على الفور بشأن :

١ ــ اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال الامام في اليمن .

٢ ــ اعتراف الامام بحدود محمية عدن مع اجراء بعض التعديلات لصالحه .

٣ ــ وعد الامام بمساعدة الحكومة البريطانية في حدود التزاماتها الدولية .

وتم اخطار الامام بأن هذا الاتفاق يمكن أن يطبق بشرط أن يتم جلاء القوات اليمنية عن الضالع في ــ ٢٠ يونيو ــ كرمز لحسن النية ، ولكن الامام لم يقدم على هذه الخطوة من جانبه .

ونتيجة لذلك قام الجانب البريطاني باستعراض جوي فوق المدن اليمنية الرئيسية واسقطت منشورات تحذر اليمنيين وتنذرهم اذا لم يتم الجلاء عن الضالع في ٢٤ يوليو .

وبالرغم من وجود اطراف مناوئة لسياسة الامام تتمثل في ابنه الاكبر سيف الاسلام محمد وقائد تعز ، الا ان الامام لم يتخذ اجراءا حاسما ولم يفعل شيئا للجلاء عن الضالع وقام بارسال التعزيزات الى قعطبة وتعز ، وامام هذا الاستفزاز قصفت تعز قصفا شديدا طوال يوم ٢٥ يوليو (٢٣) . وبجانب تعز شمل القصف الجوي معظم المناطق الخاضعة لنفوذ الامام ، واستمر لمدة ١٤ يوما . وادى هذا في نهاية الامر الى انسحاب قوات الامام من منطقة الضالع في ١٤ يوليو ١٩٢٨ ، وقبل نهاية نوفمبر كانت قوات الامام قد جلت عن جميع مواقعها داخل محمية عدن وفقا لتخطيطها المحدد في عام ١٩٠٤ (٢٤) .

وفي شهر سبتمبر ١٩٢٨ أرسل الامام يحيى خطابا الى السلطات البريطانية في عدن يطلب فيه فتح باب المفاوضات من جديد ، فوافقت السلطات البريطانية وطلبت منه أن يبعث مندوبا عنه الى عدن للاجتماع مع المندوب البريطاني هناك لبحث شروط اتفاق مبدئي ، واقترحت الحكومة البريطانية ان يتم الاعتراف بالاستقلال التام لليمن على اساس الاعتراف بالوضع الراهن للحدود .

ولا جدال في ان ثمة اسبابا عدة اجبرت الامام على الدخول في مفاوضات مباشرة مع البريطانيين ، لعل اهمها هو ثورة الزرانيق في ربيع ١٩٢٨ وشقها عصا الطاعة عليه وما يمكن ان ينجم عن ذلك من عرقلة للطريق التجاري من الحديدة الى صنعاء لذلك كان الامام في حاجة الى فترة من التهدئة مع الجانب البريطاني حتى يتمكن من اخضاع العصاة .

اما الخطر الثاني الذي كان يهدد الامام فهو مشاكله مع قبائل حاشد وقبائل الزيديين اللتين تثيران القلاقل في شمال صنعاء .

اما الخطر الثالث الذي لاح في الافق وازعج الامام ايما انزعاج فهو مسألة الحدود الشمالية حيث اتصلت تخوم بلاده بالحدود السعودية نتيجة لارتباط الادريسي حاكم عسير باتفاقية مع ابن سعود منذ ٢١ اكتوبر ١٩٢٦ ، وطبقا لهذه الاتفاقية برز جار قوي جديد لينافس الامام يحيى عند حدوده الشمالية ، وقد توتر الموقف على هذه الحدود وتطور الى مناوشات مع القوات السعودية .

وفي شهر مارس ١٩٣٣ ارسل ابن سعود وفدا للاجتماع بمندوبي الامام يحيى

بهدف التوصل الى اتفاق بشأن الحدود ، ولكن المحادثات لم تنجح وعاد الوفد الى الرياض ، غير أن ابن سعود أعاد الكرة وارسل وفدا اخر الى صنعاء ، فما كان من الامام الا أن احتجز أعضاءه كرهائن وامر ابنه سيف الاسلام بالتقدم واحتلال نجران وعسير (٢٥) .

ومنذ حوادث ١٩٢٨ اتسمت العلاقات اليمنية البريطانية بالهدوء ، وفي شهر سبتمبر من نفس العام طلب الامام الدخول في مفاوضات مع بريطانيا ، واستمرت المشاورات بين الطرفين حتى شهر اكتوبر ١٩٣١ ، وانتهت الى اقتراح عقد اتفاقية بين الطرفين لتحديد الحدود ، ولكن الامام تغاضى عن هذا المشروع ، بل وجهز حملة لاحتلال العوذلي ، وقبض على حوالي اربعين رهينة ولكن هذا لم يمنع استمرار المفاوضات بين الطرفين ، وقد وضعت الحكومة البريطانية شروطا لابرام الاتفاق النهائي تتركز فيما يلي :

١ ـ الافراج عن جميع المسجونين من قبائل العوذلي .

٢ ـ الغاء جميع القوانين التي تحرم التعامل مع عدن ، وخاصة القيود التجارية .

٣ ـ الجلاء عن كل اقليم المحمية (٢٦) .

وتمكنت الحكومة البريطانية من اقناع الامام بقبول الشروط الثلاثة ، ومن ثم اتضح الطريق أمام توصل الطرفين الى تسوية مرضية هي التي تمثلت في معاهدة فبراير ١٩٣٤ ، أو معاهدة صنعاء .

وقد اتجه الطرفان الى عقد هذه المعاهدة لكي تعلق مسألة الحدود الى حين حتى يمكن حلها بطريقة مرضية ، دون أن يعطل ذلك اقامة علاقات ودية سياسية واقتصادية بين الطرفين على أساس وجود معاهدة تنظم هذه العلاقات .

وقد حققت معاهدة صنعاء هذه الغاية ، وكيفما كان الامر فقد جاءت هذه المعاهدة بمثابة الاقرار للوضع القائم ، على الاقل من ناحية الحدود ، أكثر منها تسوية شاملة لهذه المسألة وقد شملت المعاهدة أيضا بعض النقاط الاخرى التي لا بد من استقرارها بين بلدين او حكومتين متجاورتين اقليميا مثل حسن الجوار والتبادل التجاري .

ولم يتم التصديق على هذه المعاهدة الا في ٤ سبتمبر ١٩٣٤ رغم أن التوقيع عليها جرى في ١١ فبراير من نفس العام ، وكانت أهم شروط التصديق هي اتمام

جلاء قوات الامام عن أربع وستين قرية في اقليم العوذلي وثمانية أخرى في امارة الضالع واعادة فتح طريق التجارة بين المحميات البريطانية واليمن والافراج عن الاسرى والرهائن من أهالي المحميات .

ولعل أخطر ما يسجل من ملاحظات على هذه المعاهدة أنها تركت مسألة الحدود دون بت . بل تركت أمرها حتى يتم التفاوض بشأنها خلال مدة سريان المعاهدة التي حددت بأربعين عاما .

المراجـــع :

كتب غير مطبوعة ـ رسالة الدكتوراة .

١ ـ **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ١٩٢٦ ـ ١٩٣٤ .**
فتوح الخترش .

كتب عربية مطبوعة :

١ ـ الشريف احمد حسين . **اليمن عبر التاريخ .**

٢ ـ احمد فضل بن علي محسن العبدلي . **هدية الزمن من أخبار لحج واليمن .**

٣ ـ امين الريحاني . **ملوك العرب .**

٤ ـ امين السعيد . **اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري .**

٥ ـ حسين بن أحمد العرشي . **بلاغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وامام.**

٦ ـ سلفاتور ابونتي . **مملكة اليمن** . ترجمة طه فوزي .

٧ ـ سيد مصطفى سالم . **تكوين اليمن الحديث .**

٨ ـ عبدالله عبد الكريم الجرافي . **المقتطف من تاريخ اليمن .**

٩ ـ عبد الواسع بن يحيى الواسعي . **تاريخ اليمن .**

مراجــع اجنبيــة :

(A) Un Published Documents:

1 - Political and secret subject files:-

1 - 2/pas/10/1160. Arabia reiations with Imam.

2 - 2/pas/10/1089. Idrisi situation (1919-1926).

3 - 2/pas/10/3082. Aden part 1-2- (1917).

4 - Cabinet papers (C.B.) Cab 24/182.

وثـــائق منشـــورة :

1 - Hurewitz. **Diplomacy in the Near and Middle East. vol. 11.** 1914-1926.

2 - Private paper depautuent. Clayton paper.

دوريـــات اجنبية :

1 - **Survey of International Affairs.**
Royal Institute of International Affairs. year 1925. vol. 1.

2 - **Survey of International Affairs.** year 1828.
Survey of International Affairs. year 1930.
Survey of International Affairs. year 1934.

3 - **Orient Modern.** 1926-1933. (O.M.)

كتب اجنبيـــة :

1 - Jacob. H. **Kings of Arabia.**

2 - Reilly, B. **Aden and the Yemen.**

الهـــوامش :

١ ــ **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية** . ص ١١ ، ١٣ .

٢ ــ أمين الرياحني . ج ١ ، ص ٢٠٠ .

٣ ــ أمين الرياحني .

٤ ــ Survey. 1925, pp. 310-11.

٥ ــ Jacobes. **Kings of Arabia.** p. 200.

٦ ــ المرجع السابق .

٧ ـ **ملوك العرب** . ص ٢٠٣ .

٨ ـ Jacob. p. 214.

٩ ـ الواسعي . **تاريخ اليمن** . ص ٢٦٣ .

١٠ ـ - 2/pas/10/1089. Idrisi situation- 1914-1926. Survey. p. 321.

١١ ـ - Survey. 1925. vol. p. 54.

١٢ ـ أمين السعيد . ص ٦٢ .

١٣ ـ Survey. 1925. vol. 1. p. 322.

١٤ ـ رسالة الدكتوراة . ص ١٤ ، ١٩ .

١٥ ـ - Private papers Clayton gelbert (1) 24/182.

١٦ ـ - Survey. vol. : 1925. p. 312.

١٧ ـ **تكوين اليمن الحديث** . ص ٣٠٨ ، ٣١٠ .

١٨ ـ رسالة الدكتوراة . ص ٢١١ .

١٩ ـ Hurewitz. **Middle East Politics.** pp. 56-75.

٢٠ ـ رسالة الدكتوراة . ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

٢١ ـ المرجع نفسه . ص ١٢٩ .

٢٢ ـ وقد تمخضت هذه الاحداث عن اعادة المشايخ المخطوفين ، وأصدر الامام يحيى نداء
Cab. 24/182. C.P 415-26 Co. december 1926.

٢٣ ـ Clayton Mission. p. 54.

٢٤ ـ Survey. p. 316.

٢٥ ـ **تكوين اليمن الحديث** . ص ٣٥٨ ، ٣٦٧ .

٢٦ ـ O.M. no. 7, 15 July 1933.

THE YEMEN BRITISH RELATIONS DURING THE REGION OF IMAM YEHYA BIN HAMEED EDDIN

By: Dr. Futoh Al-Khatresh *

Imam Yahya Bin Hameed Eddin took over the power in February 1904, sparing no efforts to strengthen his rule as a Zaidi leader.

The first seven years of his rule were a continuous chain of conflicts and fights against the Ottoman which eventually ended by the "Peace Treaty" in 1911 with the Turkish Wali Ahmed Izzat Pasha.

When the first world war started Imam Yahya decided to adopt a neutral stand till the 30th October 1918 when the cease fire was declared and the Turks abandoned their dominions leaving them to the allies. At that stage Imam Yahya entered Sana'a and proclaimed himself a ruler of whole Yemen.

However, the relationship between Imam Yahya and the British deteriorated. And when the Turkish garison in Hudaida refused to surrender to the British, the British troops killed its population before finally occupying it. When the Imam wrote to the British Resident in Aden protesting against that agression. The reply was that the British troops entered Hudaida in order to restore order and discipline, and that they are intending to hand over the city to him as soon as the order was restored. But the British did not keep their promise.

Meanwhile Imam Yahya was strengthening his power over his territories trying at the same time to take over more lands in order to secure a path for Yemen trade on the Red Sea.

In 1909 the Imam ordered his troops to march over the (nine

* Alecturer of modern history (Arabian Gulf) at Kuwait University.
- She obtained ph. D. from Kuwait University in 1975.

She Published

- The history of Political relations of Britain and Kuwait 1890 - 1921. That Al-Salasel Publications, First edition, Kuwait, 1974.
- The establishment of Qatar and its development. That Al-Salasel Publications, First edition, Kuwait, 1977.
- The Sources of Qatar's history - 1868 - 1916. That Al-Salasel Publications, First edition, Kuwait, 1979.

protectorates) which he was considering as a part of Yemen His plan was to hit the British troops in the areas surronding Hudaida so as to force them to leave the city and to hand it over to him. The troops of Imam Yahya also marched towards the protectorate of Aden and occupied Al Dalei, AlShaib, Ajoud and Al Quatib.

Nevertheless, those developments made the British to make a bargain with the Imam in order to evacuate Hudaida in case an agreement was reached about the borders of the protectorates. The British sent a mission headed by Colonel Jacob who was caught with his mission by the tribesmen and imprisoned for four months.

Any how, the British handed over Hudaida to Idrisi (Prince of Aseer) who was the ally of the British during the first world war. But owing to the strategic position of Hudaida as the first sea port on the Red Sea, a dispute developed between Imam Yahya and the British which remained unsolved.

At last on the 18th, June 1923, Imam Yahya issued a political and religious declaration in which he used some cordial phrases about the British (Willingness to agree with Britain). The British welcomed this declaration and sent another mission headed also by Colonel Jacob. Unfortunately the mission was once again a failure. And in March 1925 Imam Yahya ordered his troops to occupy Hudaida after Idris had died. And later signed a treaty with Italy.

The Imam looked forward to keeping the protectorates of Aden. But the British wanted to hold Aden as a stratigic base for easy access to India and the Far East.

Inspite of many efforts to reach an agreement between the Imam and the British, troubles continued until agreement was eventually reached in February, 1934 which was called "Pact of Sana'a" and which was signed on 4th of September, 1934 when the troops of the Imam evactuated 64 villages in Awthali and a further 8 villages in Dalei.